المحاضرة الثانية: عبد القادر لقجع وبناء سوسيولوجيا محلية

عبد القادر لقجع وتأسيس علم اجتماع محلي :عبد القادر لقجع هو واحد من أبرز علماء الاجتماع في الجزائر، وقد عمل بجد على تطوير رؤية مستقلة لعلم الاجتماع العربي. بدلاً من الاعتماد على نماذج غربية جاهزة، انطلق من الواقع المحلي. رؤيته كانت بمثابة نقطة تحول في الخطاب السوسيولوجي الجزائري، حيث دعا إلى إنشاء علم اجتماع محلي يكون حجر الأساس لمنظومة معرفية عربية متكاملة.

يواجه علم الاجتماع في الجزائر تحديات كبيرة بسبب التغيرات الاجتماعية والثقافية السريعة. لذا، من الضروري تطوير أساليب جديدة تتناسب مع الخصوصيات المحلية. لم يعد علم الاجتماع مجرد مجال نظري بعيد، بل يجب أن يصبح وسيلة لفهم التحولات الاجتماعية ودراستها من منظور داخلي يأخذ بعين الاعتبار التقاليد، والتغيرات الاقتصادية، والأنماط الثقافية السائدة.

إشكالية إنتاج سوسيولوجيا محلية :لطالما كانت مسألة تأسيس علم اجتماع محلي تمثل تحديًا كبيرًا في العالم العربي. يعاني هذا المجال من الاعتماد على النظريات الغربية دون أن يتم تكييفها لتناسب السياقات المحلية. وقد أشار العديد من الباحثين إلى هذه المشكلة، ومن بينهم الأستاذ جمال غريد الذي عبّر عن هذا الوضع بقوله: "علماء الاجتماع ينتظرون مجتمعهم، ومجتمع ينتظر علماء الاجتماع."

أكدت الباحثة الفرنسية كلودين شولي أن السوسيولوجيا لم تتمكن من تحقيق أهدافها في دول ما بعد الاستعمار. حيث تم استبدال الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع، لكن دون وضع أسس واضحة لتطويره محليًا. وتعود هذه المشكلة إلى غياب دعم الدولة للأبحاث الاجتماعية، مما أعاق تطور منهجيات محلية تستطيع تحليل الديناميكيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الجزائر.

نحو تأصيل نظرية سوسيولوجية محلية :يؤكد عبد القادر لقجع أن فعالية علم الاجتماع تعتمد بشكل كبير على مدى ارتباطه بالواقع. فالمعرفة السوسيولوجية التي لا تنبع من البيئة المحلية تظل بلا تأثير، مما يجعلها مجرد استنساخ نظري لا يفيد المجتمع. لذا، لتعزيز علم الاجتماع في الجزائر، يجب علينا تجاوز الاعتماد الكلي على الأطر النظرية الغربية وتطوير مقاربات نقدية تأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات التاريخية والاجتماعية للبلاد.

ويتساءل لقجع عن قدرة الباحثين السوسيولوجيين اليوم على إحداث قطيعة مع النماذج التقليدية واستحداث نظريات جديدة تتناسب مع الواقع الجزائري. فهل يمكننا الاعتماد على نظريات وُضعت في سياقات اجتماعية مختلفة لتحليل مجتمعنا المحلي؟ إن الاستمرار في استخدام تلك الأطر النظرية دون إعادة تقييم يجعل علم الاجتماع في الجزائر مجرد امتداد لممارسات علمية أجنبية، دون أن يكون له هوية خاصة.

نحو سوسيولوجيا ذاتية: من الإبستمولوجيا إلى التطبيق : في إطار سعيه لتطوير علم اجتماع عربي مستقل، يقدم عبد القادر لقجع مفهوم "سوسيولوجيا الذات"، الذي يشجع على التحرر من الهيمنة الفكرية الغربية، دون أن يعني ذلك قطع العلاقات تمامًا معها. الهدف هنا هو تطوير منهجية تفاعلية تستفيد من الإنجازات العلمية العالمية، لكنها في نفس الوقت تنطلق من معطيات الواقع المحلي.

إن بناء سوسيولوجيا محلية يتطلب تجاوز النماذج المستوردة والاتجاه نحو تأصيل المفاهيم والمناهج بما يتناسب مع خصوصيات المجتمع المدروس. وفي هذا السياق، يشدد لقجع على أهمية اعتماد رؤية نقدية تأخذ بعين الاعتبار التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تميز المجتمع الجزائري.

إعادة النظر في علم الاجتماع العربي :يرى لقجع أن الجزائر لم تصل بعد إلى تطوير سوسيولوجيا تعكس واقعها، حيث لا تزال الأبحاث الاجتماعية تعتمد بشكل كبير على استيراد النظريات الغربية دون أن تتكيف مع البيئة المحلية. وهذا ما جعله يتساءل: "لماذا لم نتمكن حتى الآن من فهم مجتمعنا؟".

إن غياب التفكير النقدي في المناهج والنظريات المستخدمة يُعتبر من أبرز العوائق التي تعترض تطور علم الاجتماع العربي. فبدلاً من أن يكون الباحث العربي منتجًا للمعرفة، غالبًا ما يكون مجرد مستهلك للأطر النظرية الغربية. لذا، فإن تجاوز هذا الركود يتطلب إعادة النظر في أسس البحث الاجتماعي وتطوير منهجيات تنطلق من الواقع العربي نفسه.

سوسيولوجيا محلية: بين التبعية والتحرر :يشير لقجع إلى أن علم الاجتماع في الجزائر يواجه تحديات كبيرة بسبب اعتماده على النموذج الغربي. فغالبًا ما تقتصر مقارباته على تقليد النظريات الغربية، مما يمنعه من إنتاج معرفة مستقلة. يعود ذلك لعدة أسباب، أبرزها التركيز على الجانب النظري في الجامعات، دون دعم البحث الميداني والتطبيقي.

لتحقيق الاستقلالية العلمية، يجب علينا إعادة قراءة الواقع الاجتماعي من منظور محلي، بدلاً من الاعتماد على نماذج خارجية قد لا تناسب طبيعة المجتمع الجزائري. وكما قال ريمون آرون عن السوسيولوجيا الفرنسية: "أكثر ما يحتاجه علم الاجتماع الفرنسي هو علماء اجتماع"، فإن السوسيولوجيا العربية بحاجة إلى علماء اجتماع قادرين على تطوير نظريات تنبع من واقعهم، بدلاً من أن يكونوا مجرد ناقلين لأفكار الآخرين.